

وقف صالحه بنت حسن الطباخ

منذ شوال ١٣٦٢هـ

دراسة وثائقية لنموذج من الأوقاف الذرية في مكة المكرمة
بالمملكة العربية السعودية

إعداد:

الدكتور عبدالحليم بن عبدالعزيز مازي

أستاذ مشارك بكلية الهندسة جامعة الملك سعود سابقاً

نشرت هذه الدراسة ضمن سلسلة إصدارات ساعي العلمية رقم (٢٩)
التي تصدرها مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

تعريف عام بالمؤلف / الباحث:

أستاذ مشارك بكلية الهندسة جامعة الملك سعود (متقاعد)، عميد شؤون القبول والتسجيل، ومدير مركز البحوث والدراسات بوزارة التعليم العالي سابقاً، مهتم بدراسات الأوقاف.

الهدف العام للمادة العلمية:

تقديم دراسة تفصيلية لنموذج وقف ذري منجز منذ عام ١٢٦٢هـ، حيث جرت دراسة وتحليل حجة الوقف (صك الوقف)، ومعرفة تفاصيله، وشروطه، وضوابطه، والمتنعفين من عوائده، ومعرفة ما كان متبعاً في دوائر الضبط الشرعية آنذاك من حيث أسلوب صياغة صكوك الوقف وشمولها على العناصر الأساس من حيث وصف العين الموقوفة، والمتنعفين وأسلوب الانتفاع والنظارة.

الكلمات المفتاحية:

وقف ذري، الوقف الخاص.

أهمية المادة العلمية:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تقدم نموذج وقف ذُرِّيٍّ كاملٍ، والاستفادة منه في توضيح الفوارق بين الوقف الخيري (العام) وبين الوقف الذُرِّيِّ، وتوضيح التحديات التي تكمن في إدارة وقف الذرية من حصر المستحقين وتقدير المستحقات والأنصبة وفق شروط الموقفة (رحمها).

أبرز موضوعات المادة العلمية:

قسم الباحث الكتاب قسمين، ثم التوصيات والخاتمة، فالقسم الأول فيه المقدمة التي تطرق فيها الباحث إلى الحديث عن الوقف وأحكامه وتعريف الوقف في اللغة والاصطلاح والآثار الواردة في الحث عليه وأنواعه وأركانه وبيّن الفرق بين الميراث والوقف، كما تحدث عن شرط الواقف وحكمه، وما المراد بقول الفقهاء: (نص الواقف كنص الشارع).

وختم هذا القسم بذكر عناصر صك الوقف (حجة الوقف)، حسب ما ورد في المعيار الشرعي للوقف.

والقسم الثاني من الدراسة هو تحليل ودراسة لوثيقة صك وقف السيدة صالحة بنت حسن الطباخ، واستعرض في هذا القسم أنموذجاً لوقف ذُرِّيٍّ أجرته المغفور لها بإذن الله تعالى صالحة بنت حسن الطباخ في مكة المكرمة منذ عام ١٢٦٢هـ، وخصصت ريعه أولاً على نفسها ومن بعدها على ابنتها الوحيدة (آمنة) ومن بعدها على ذريتها من أولادها وأولاد أولادها وإن نزلوا، وفق نصوص محددة في صك الوقفية. وحددت الواقفة أسلوب تعيين الناظر على الوقف والمصارف أخرى للوقف.

والعين الموقوفة هي عبارة عن (دُورٍ) كانت في حي شعب عامر في مكة المكرمة، ومع مرور الزمن آلت للسقوط، وقد توقف الانتفاع من ريعها لأعوام عدة، وكاد الوقف يندثر وتضيع معالمه لولا عناية الله ﷻ أولاً، ومن ثم حرص بعض أفراد الأسرة من ذرية الموقفة على تثبيته وإحيائه.

وقد جرى تعيين ناظرٍ للوقف ومشرفٍ عليه، وهما من ذرية الواقعة حسب ما ورد في شرطها المذكور في وثيقة الصك، وقاما - الناظر والمشرف - بمتابعة كل الاجراءات القضائية الخاصة بالوقف وإحيائه.

وتطرق الباحث إلى الحديث عن قصة هذا الوقف بعد أن نُزعت ملكية العين الموقوفة لأعمال التوسعة الخاصة بالمسجد الحرام؛ كونها تقع ضمن المنطقة التنظيمية لمنافع توسعة الحرم المكي، وقد جرى تميمين العقار وفق المحددات التي وضعت من قبل الجهات المختصة، وشراءً عقارٍ بديلٍ في مكة المكرمة وبالتحديد في المنطقة المركزية القريبة من الحرم بقيمة التعويض، وهو حالياً عبارة عن فندق استثماري يقع في نهاية شاع إبراهيم الخليل، وقريباً من (كدي) في مكة المكرمة.

وقد ذكر الباحث أن الناظر والمشرف على الوقف قاما بجمع بيانات الأسر ذات القرابة والصلة بالموقوفة، وعملا شجرة تفصيلية للمستفيدين؛ تبدأ من الموقوفة، وتنتهي بالأشخاص الذين هم على قيد الحياة من ذريتها، ويُنَّ أنه بحسب ما ورد في نص صك الوقف ذُكر أسلوب الاستفادة من عوائد الوقف، ومن خلال صكوك حصر الورثة، ومعرفة من لا عقب له، وتأثير ذلك على إعادة توزيع الحصص على الأفراد من نفس الطبقة، أو ما ينتقل إلى الطبقة أسفل من طبقته. وقد بلغ عدد الأسر ممن يشملهم التخصيص إلى تاريخ إعداد هذه الدراسة (١٥ عائلة)، كما بلغ عدد المستحقين من عوائد الوقف (١٥٨ شخصاً).

وبحسب ما ذكره الباحث قام بعدة مهام لإنجاز هذه الدراسة، كما يلي:

١. التفريغ النصي لصك الوقفية؛ ليكون سهل القراءة والرجوع إليه في كل أعمال الدراسة والتحليل، وكذلك التفريغ النصي لصك آخر مؤيدٍ لما ورد في صك الوقفية. وقد تضمن هذا توضيح بعض العبارات والمصطلحات التي وردت في صك الوقفية، وبيان الأحكام الفقهية الواردة ذات الصلة بها؛ وذلك بالرجوع إلى عدد من المراجع العلمية المتخصصة.

٢. مراجعة شجرة العائلة من خلال الوثائق التي وفرها المشرف على الوقف، وبناء وتحديث شجرة العائلة لِذُرية الموقفة، وعمل شُجيراتٍ تفصيليةٍ للفروع، تشكل في مجموعها الشجرة الشاملة لِذُرية الموقفة. وقد جرى بناء الشجرة باستخدام برنامج حاسوبي متخصص هو: (Age Long tree)، ووضح الباحث أن من نتائج هذا البرنامج المساعدة في بناء شجرة العائلة بشكل دقيق يوضح الأصول والفروع، كما كان البرنامج الحاسوبي هو الأساس في الخطوات التالية لحساب الأنصبة.

٣. إسقاط شرط الموقفة في حسابات توزيع الاستحقاق، وانتقال الحصص من الأصل إلى الفرع، كما عمل الباحث على وضع طريقة لإعادة التوزيع في حال انقطاع النسل لأحد المستحقين من طبقة إلى الأشخاص في الطبقة نفسها، ومن ثم حساب الأنصبة المستحقة للأفراد في الطبقات المتتالية من ذُرية الموقفة إلى الوقت الحالي، ووضح الباحث أن من نتائج هذا العمل حصر الأفراد (من عوائل ذُرية الموقفة) التي يلحقهم نصيبٌ من توزيع عوائد الوقف. وأفاد أن من لوازم تحقق هذا الأمر هو إنشاء شبك الاستحقاق (وهو نموذج يدوي باستخدام برنامج Microsoft Excel). ويوضح الشبك تسلسل الأفراد كما في شجرة الموقفة، وحساب النسبة المئوية لنصيب كل فرد مستحق، وبيان من يُحجب ومن يُحجب من الأفراد، انتهاءً بوضع قائمة بأسماء المستحقين، ومقدار الاستحقاق من عائد الوقف لكل شخص.

٤. تنفيذ الشبك المذكور في الفقرة السابقة يدوياً باستخدام برنامج (Microsoft Excel)، وذكر أن هذا عمل شاق خاصة عند إضافة فرد جديد أو معالجة الشجرة لوفاة فرد، واعتبر الباحث أن الشبك أداة أساسية في حساب الاستحقاق، وقد وفقه الله وهداه إلى تصميم هذه الأداة الرقمية التي سماها بـ (حاسبة الأنصبة) للمستحقين من الوقف، وبيّن أن الميزة الأساسية في هذه الأداة هي سهولة إعادة حسابات الأنصبة عند تغيير أفراد الشجرة سواء (بالحياة أم الوفاة) وبطريقة آلية سهلة ودقيقة، يضاف إلى أن هذه الأداة الرقمية توفر معرفة قيمة الاستحقاق بالريال لكل فرد من المستحقين بعد إدخال إجمالي العائد المتوفر للتوزيع (بعد استبعاد المصاريف

الأخرى)، واعتبر الباحث أن هذا من الاسهامات المهمة التي توفرها هذ الدراسة، وأكد على أنه يمكن للقائمين على هذا الوقف الاستفادة منها أداةً للتحقق من توزيع الأنصبة.

وختم الباحث هذه الدراسة بذكر أن ما ورد فيها من استنباطات هي خاصة بشجرة مستحقي (وقف صالحه الطباخ)، ومقدار الحصص لهم، هو اجتهاد منه بما يتوفر لديه من وثائق ومستندات، وقدم مقترحاً للناظر والقائمين على الوقف بتثبيت ذلك من قبل جهات الاختصاص والاستعانة بمتخصصين في العلوم الشرعية خاصة الأوقاف والمواريث.

كما ختم الباحث هذه الدراسة بتقديم مجموعة من التوصيات والنتائج التي توصل إليها خلال إعدادها لها.

أبرز التوصيات والنتائج:

تضمنت الدراسة عرضاً لأهم التوصيات والنتائج ومنها:

- يعدّ الوقف الذُرِّي من أوجه الصدقة الجارية، ويحتاج إلى دقة في توصيف المستحقين من الذُرية، من حيث الطبقات، ومراعاة العبارات المستخدمة في صك الوقف؛ لتكون واضحة.
- من أهم الأعمال بعد أن ثبت الوقف، استفادة الموقوف عليهم بتوزيع الأنصبة المستحقة وفق ما ورد في حجة الوقف، ويتطلب ذلك التحقق من جهة شرعية؛ كي يكون التوزيع متوافقاً مع منطوق الحجة، وبما يمنع الشحناء والبغضاء بين المستفيدين عند اختلاف المقدار للأشخاص.
- اقتطاع نسبة محددة من عوائد الوقف السنوية مصاريفَ لصيانته، تودع في حساب خاص، وتستخدم في الصرف منه لأعمال الصيانة الوقائية أو التصحيحية للعين الموقوفة، كما اقترح الباحث أن يوضع شرط على مستأجر العمارة بأن تكون الصيانة عليه.

- اقتطاع حصة تعادل نسبة استهلاك المبنى لمدة (٢٥ - ٣٠ عامًا)، بحيث يمكن إيجاد بديل للعين الجديدة؛ إما بإعادة بنائه أو استبداله بعين أخرى جديدة.
- تحديث شبك الأنصبه حال وفاة أو ولادة أحد المستفيدين، مع مراعاة أن حصص الفرع هي أجزاء من حصة الأصل في ذلك الفرع.
- إن أسلوب توزيع الأنصبه على المستحقين يتطلب رعاية ودقة في حساب الشباك، وهي أداة تفاعلية، باستخدام بعض البرامج المتوفرة كجداول الإكسل أو غيرها.
- أن مقدار الأنصبه المستحقة للموقوف عليه ليست متساوية، ويعود ذلك إلى أسباب، منها: أن بعض المستحقين يأتي نصيبهم من جهتين: (الوالد والوالدة مثلاً)، ومنها أيضًا: أن الأنصبه للأشخاص في الفروع تقل وتزيد بحسب عدد الأشخاص فيه، ومعرفة هذه الحقيقة مهمٌ في تفسير سبب الاختلاف في الحصة؛ كي لا يحدث من سوء الفهم تشاحنٌ بين المستفيدين من الأقارب.
- عمل أرشيف (ورقي وآخر رقمي) لجميع المستندات الخاصة بالعين الموقوفة (من صكوك وحجج وغيرها)، وتحديث قاعدة بيانات المستحقين بأسلوب منظم لتسهيل المتابعة والتوثيق. والتوصية بحفظ نسخ متعددة من صور الوثائق لدى بعض المستحقين إجراءً احترازيًا (احتياطي).
- من الأهداف الأساسية التي بُني عليه مثل هذا الوقف الدُرِّي: تواصل الأقارب؛ فليس الغرض فقط الاستفادة المادية، بل يتعدى ذلك إلى التواصل بين الأقارب، ومعرفة أحوالهم، وتفقد أوضاعهم، فيجب إعطاء أوليَّة للتواصل بين الأسر، وتعرّف بعضهم على بعض.
- حيث نعيش عصر التقنية الرقمية يمكن إنشاء مجموعة للتواصل بين ممثلين عن كل فرعٍ من فروع مستحقي الوقف (الشخص الأكبر، أو من يُرشح من العائلة) مع (منسق يرشح من قبل الناظر، أو يختار بطريقة يتفق عليها)؛ وذلك لتبادل المعلومات والبيانات، وتحديث المستجدات وبخاصة حالات الولادة والوفيات الجديدة.

تعليق ختامي على الدراسة:

هذه الدراسة قدّمت نظرةً شاملة عن وقف السيدة صالحه بنت حسن الطباخ (رحمها الله)، وهو وقفٌ ذُرِّيٌّ اشتمل على صور متعددة من التوزيع الطبقي المرتب والحشري، والدراسة تتضمن توضيحات لما ورد في صك الوقفية، مرورًا بعمل شجرة ذرية الموقفة، وعمل الشباك بناءً على الشجرة، وهي الأداة الموضحة لمقدار الأنصبة لكل مستحق، وانتهاءً بتحديد المستحقين، ومقدار الاستحقاق لكل فرد من (خمس عشرة) عائلة موجودة حتّى تاريخ إعداد هذه الدراسة، وما ورد في هذه الدراسة من خلاصات واستنباطات خاصة فيما له صلة بشجرة مستحقي وقف صالحه الطباخ، ومقدار الحصص لهم، هو اجتهاد من الباحث بما توفر لديه من وثائق ومستندات. ويقترح على الناظر والقائمين على الوقف تثبيت ذلك من قبل جهات الاختصاص والاستعانة بمتخصصين في العلوم الشرعية خاصة في مجال الأوقاف.